

باب العرفان

الفرق بين العرفان والتصوف:

نص السؤال: ما هو الفرق بين العرفان والتصوف ؟
نص الجواب: التصوف طريقة عملية انتشرت بعنوان الزهد والإعراض عن الدنيا ، والعرفان علم له علاقة بمعرفة الله سبحانه ، ولأهل العرفان مسالك خاصة في تفسير حقيقة الكون.

لفظ العارف والعرفان:

نص السؤال: هل ورد التعبير بالعارف في كلمات المعصومين (عليهم السلام) ؟
نص الجواب: نعم ، التعبير بالعارف والعرفان يوجد في الادعية والاحاديث الشريفة وهو بمعناه الصحيح والراقي المستفاد من منهج الائمة عليهم السلام . ونشير الي بعضها :
منها: الهي والحقني بنور عزك الابهج فأكون لك عارفا وعن سواك منحرفا) ... المناجات الشعبانية / راجع: مفاتيح الجنان (

منها: قال الصادق (ع): العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله ، لو سها قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقا إليه ، والعارف أمين ودائع الله ، وكنز أسرارهِ ، ومعدن نوره ، ودليل رحمته على خلقه ، ومطيّة علومه ، وميزان فضله وعدله ، قد غني عن الخلق والمراد والدنيا ، فلا مونس له سوى الله ، ولا نطق ولا إشارة ولا نفس إلا بالله والله ومن الله ومع الله ، فهو في رياض قدسه متردد ، ومن لطائف فضله إليه متزود ، والمعرفة أصل فرعه الإيمان .
(مصباح الشريعة)

منها: قال رسول الله (ص): من عرف الله وعظمه منع فاه من الكلام ، وبطنه من الطعام ، وعفى نفسه بالصيام والقيام . قالوا: بأبائنا وأمّهاتنا يا رسول الله !.. هؤلاء أولياء الله ؟

قال: إنّ أولياء الله سكتوا فكان سكوتهم ذكراً ، ونظروا فكان نظرهم عبرةً ، ونطقوا فكان نطقهم حكمةً ، ومشوا فكان مشيهم بين الناس بركة . لولا الأجل التي قد كتب الله عليهم ، لم تقرّ أرواحهم في أجسادهم خوفاً من العذاب ، وشوقاً إلى الثواب . (الكافي ٢/٢٣٧)

منها: قال الصادق(ع): الحزن من شعار العارفين ، لكثرة واردات الغيب على سرائرهم ، وطول مباحثاتهم تحت ستر الكبرياء ، والمحزون ظاهره قبض وباطنه بسط ، يعيش مع الخلق عيش المرضى ، ومع الله عيش القرباء ، والمحزون غير المتفكر لأنّ المتفكر متكلف ، والمحزون مطبوع ، والحزن يبدو من الباطن والتفكر يبدو من رؤية المحدثات ، وبينهما فرق ، قال الله عزّ وجلّ في قصة يعقوب(ع): {إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون} .
(مصباح الشريعة)

منها: ... شيعتنا هم العارفون بالله ، العاملون بأمر الله ، أهل الفضائل ، الناطقون بالصواب ، مأكولهم القوت ، وملبسهم الاقتصاد ، ومشيمهم التواضع ، بخعوا لله تعالى بطاعته ، وخضعوا له بعبادته ، فمضوا غاضين أبصارهم عما حرم الله عليهم ، واقفين أسماعهم على العلم بدينهم ... (بحار الانوار ج ٧٥/ص ٣٠)

منها : ... فيا أمل العارفين! ورجاء الأملين ! صلّ على محمد وآله الطاهرين ، وأجرني من فضائح يوم الدين عند هتك الستور ، وتحصيل ما في الصدور ، وأنسني عند خوف المذنبين ... [من دعاء أمير المؤمنين (ع) قبل صلاة الليل] (مصباح ابن الباقي) .

منها: الحديث المشهور في معرفة النفس : من عرف نفسه فقد عرف ربّه ؛ ويؤيدها الاحاديث الكثيرة في هذا المعني.
قال العلامة الطباطبائي قدس سرّه :

في الغرر و الدرر، للأمدي عن علي(عليه السلام) قال: من عرف نفسه عرف ربه: أقول: ورواه الفريقان عن النبي أيضاً، وهو حديث مشهور، وقد ذكر بعض العلماء: أنه من تعليق المحال، ومفاده استحالة معرفة النفس لاستحالة الإحاطة العلمية بالله سبحانه وردّ أولاً بقوله(صلى الله عليه وآله وسلم) في رواية أخرى: أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه، وثانياً بأن الحديث في معنى عكس النقيض لقوله تعالى: «ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم».» وفيه، عنه(عليه السلام): قال: الكيس من عرف نفسه و أخلص أعماله .

أقول: تقدم في البيان السابق معنى ارتباط الإخلاص و تفرعه على الاشتغال بمعرفة النفس .
وفيه عنه(عليه السلام): قال: المعرفة بالنفس أنفع المعرفتين .

أقول: الظاهر أن المراد بالمعرفتين المعرفة بالآيات الأنفسية و المعرفة بالآيات الآفاقية، قال تعالى: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد»: «حم السجدة: ٥٣» و قال تعالى: «وفي الأرض آيات للموقنين، وفي أنفسكم أفلا تبصرون»: «الذاريات: ٢١» .

وكون السير الأنفسي أنفع من السير الآفاقي ، لعله لكون المعرفة النفسانية لا تنفك عادة من إصلاح أوصافها وأعمالها بخلاف المعرفة الآفاقية، وذلك أن كون معرفة الآيات نافعة إنما هو لأن معرفة الآيات بما هي آيات موصلة إلى معرفة الله سبحانه وأسمائه و صفاته وأفعاله ككونه تعالى حيا لا يعرضه موت، وقادرا لا يشوبه عجز، وعالما لا يخالطه جهل، وأنه تعالى هو الخالق لكل شيء، والمالك لكل شيء، والرب القائم على كل نفس بما كسبت، خلق الخلق لا حاجة منه إليهم ، بل لينعم عليهم بما استحقوه ثم يجمعهم ليوم الجمع لا ريب فيه ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى

وفي الدرر والغرر، عن علي(عليه السلام) قال: العارف من عرف نفسه فأعتقها و نزهها عن كل ما يبعتها .
أقول: أي أعتقها عن إسارة الهوى و رقية الشهوات .
وفيه، عنه (عليه السلام) قال: أعظم الجهل جهل الإنسان أمر نفسه .
وفيه، عنه (عليه السلام): قال: أعظم الحكمة معرفة الإنسان نفسه .
وفيه، عنه (عليه السلام): قال: أكثر الناس معرفة لنفسه أخوفهم لربه .
أقول: وذلك لكونه أعلمهم بربه وأعرفهم به، وقد قال الله سبحانه: «إنما يخشى الله من عباده العلماء .»
وفيه، عنه (عليه السلام): قال: أفضل العقل معرفة المرء بنفسه فمن عرف نفسه عقل، ومن جهلها ضل .
وفيه، عنه (عليه السلام): قال : عجبت لمن ينشد ضالته، وقد أضل نفسه فلا يطلبها .
وفيه، عنه (عليه السلام) قال: عجبت لمن يجهل نفسه كيف يعرف ربه؟ .
وفيه، عنه (عليه السلام): قال: غاية المعرفة أن يعرف المرء نفسه .
أقول: وقد تقدم وجه كونها غاية المعرفة فإنها المعرفة حقيقة .
وفيه، عنه (عليه السلام) قال: كيف يعرف غيره من يجهل نفسه .
وفيه، عنه (عليه السلام): قال: كفى بالمرء معرفة أن يعرف نفسه، و كفى بالمرء جهلا أن يجهل نفسه .
وفيه، عنه (عليه السلام): قال: من عرف نفسه تجرد .
أقول: أي تجرد عن علائق الدنيا، أو تجرد عن الناس بالاعتزال عنهم أو تجرد عن كل شيء بالإخلاص لله .
وفيه، عنه (عليه السلام): قال: من عرف نفسه جاهدتها و من جهل نفسه أهملها .
وفيه، عنه (عليه السلام): قال: من عرف نفسه جل أمره .
وفيه، عنه (عليه السلام): قال: من عرف نفسه كان لغيره أعرف و من جهل نفسه كان بغيره أجهل .
وفيه، عنه (عليه السلام): قال: من عرف نفسه فقد انتهى إلى غاية كل معرفة و علم .
وفيه، عنه (عليه السلام): قال: من لم يعرف نفسه بعد عن سبيل النجاة، و خبط في الضلال و الجهالات .
وفيه، عنه (عليه السلام): قال :معرفة النفس أنفع المعارف .
وفيه، عنه (عليه السلام): قال: نال الفوز الأكبر من ظفر بمعرفة النفس .
وفيه، عنه (عليه السلام): قال: لا تجهل نفسك فإن الجاهل معرفة نفسه جاهل بكل شيء .
(الميزان ج ٦ المائدة / ١٠٥)

الفرق بين الحال والمقام:

نص السؤال: ماهو الفرق بين حالة الحال والمقام ، وكيف أعرف أنني في مرحلة منهما ؟
نص الجواب: الحال ما يزول ، والمقام اشبه بالملكة الثابتة. والمداومة على الاول والاصرار عليه ، وعدم العمل بما يناقضه يؤول الى الثاني تدريجيا وان كان من الممكن ان يأخذ وقتا طويلا ، فإن الثاني لا يعطاه الا ذو حظ عظيم.. اذ انه كاشف عن قرب ثابت من الحق المتعال والذي لا يتحصل الا بالمراقبة الدائمة والاحساس بالمعية المستمرة .. واين اهل الغفلات من هذه المنزلة الكبرى ؟ ..
على العبد وقبل ان يصل الى مرحلة المقام ان لا يغشى بالحالات الاقبالية المتقطعة كما يتفق في المشاهد المباركة . فإن البعض يظن بذلك انه قطع مرحلة التذبذب السلوكي والحال ان كل ما يحصل عليه في ذلك المشهد انما هو ضيافة من ذلك المعصوم(ع) ومن المعلوم ان الضيافة تنتهي بانتهاء حال الضيافة .. والشيطان خبير في رصد من يعطوا الجوائز العظمى لمصادرتها والانتقام من اصحابها انتقاما لما حرم منه في اول الخلقة!!

الدروس الروحية:

نص السؤال: أنا طالبة جامعية أستغل أوقات عطلتي في تلقي الدروس الدينية ، حيث كنت أتلقى دروسا دينية تربية بالأضافة الى درس العرفان ، ولكن وللأسف بعدما أنتهت العطلة أنشغلت بالجامعة ، فأحسست في البدء بجوع روحي وبحاسة الى الدروس الروحية التي اتلذذ روحيا بها ، والتي تساعدني على جهاد نفسي والسير في طريق معرفة الله

والوصول اليه .. وسؤالي هو : هل هذا الأقطاع عن الدروس، له تأثير علي من الناحية الروحية ، وكيف أستطيع الأستعاضة عنها؟

نص الجواب: من المفروض ان لا يتأثر سلوككم الروحي بانقطاع الدروس ، فإنه من المفروض ان تكون علاقة العبد بربه اكثر عمقا وفطرية من التعليق على بعض الكتب العرفانية ، فإن الحب الالهي لا يحده تلك الكتب ، والدليل على ذلك هذه القافلة البشرية المستمرة من اولياء الله تعالى طوال التأريخ الذين لم يقرأوا كتابا في هذا المجال.. وإن كنا لا ننكر ان التذكير النظري وقراءة العرفان العلمي مما قد يثير الدوافع ، ويشحذ الحوافز ، إلا ان الامر ليس من قبيل العلة التامة ..

اعتقد ان التدبر في آيات الله تعالى من خلال القرآن الكريم من افضل السبل العلمية للوصول الى الكمال الذي تنتشونه .. واعلمي أخيرا ان الصادقين في هذا الطريق هم قلة ، وذلك لان موجة الشهوات والشبهات ترجع الانسان الى الوراء ، فلا بد له من عزيمة كعزمات الملوك ومعرفة يقينية بأن الراحل اليه قريب المسافة .. وهناك مقولة جميلة تقول: (ان الله تعالى احرص على ائصال العبد اليه من حرص العبد على الوصول اليه) فتدبري في هذه المقولة ، لتفهمين الكثير.

من عرف نفسه!

نص السؤال: قرأت كثيرا حول هذه العبارة لكي استطيع توضيحها وانا بصدد تدريسها لطلاب المرحلة الثانوية ضمن التعليم الديني لدينا .. فلم استطع الا بعد ان قلت لهم حسب ما استوعب فهمي القاصر :

ان معرفة النفس هنا من باب الاحاطة بكل خفايا النفس - كمعرفتك الكاملة بكل التفاصيل عن عدوك لتضمن هزيمته - لأن ذلك هو السبيل الوحيد للسيطرة عليها والتغلب عليها ، وبالتالي تستطيع ان تسلك الطريق إلى ربك دون عوائق (أليست النفس هي أعدى عدوك) كما جاء عن الامام الصادق(ع)..... هل ماتوصلت اليه صحيح ؟

نص الجواب: ما ذكرته هو احد الابعاد لهذا الحديث القيم .. ومن الابعاد ان النفس من اعقد الموجودات في هذا الوجود اذ تجلى الله تعالى فيه بما لم يتجل في شئ اخر ولهذا لما وصل الى خلقه الانسان اردفه بالقول : { فتبارك الله احسن الخالقين } والذي استوعب ابعاد هذه النفس التي هي ارقى خلقه من البدن ، استوعب ايضا وجود يد متصفه بارقي درجات الابداع والخلق واللطف هي التي اخرجت الوجود ومنه النفس من ظلمة العدم الى الوجود .. اصف الى من راي حقيقة نفسه - وهي الغائبة عن الحس الظاهري - امكنه الوصول الى اليقين بالحقيقة الكبرى في هذا الوجود ، والتي هي خافية عن الحس ايضا .. ومن هنا جعل القران الكريم الايمان بالغيب من اولى صفات المتقين كما في اوائل سورة البقرة.

درس العرفان ... مطلوب:

نص السؤال: ماهي مواصفات العارف الواصل إلى الله سبحانه وتعالى؟ فهناك مجموعة من طلاب العلوم الإسلامية يقولون: ان دروس الأخلاق واجبة على الطلبة .. فما رأيكم في هذا الأمر؟ .. وما رأيكم في من يدعي أنه عارف ويقول أبتعدوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. وأبتعدوا عن الناس وأتركوهم ولا تخالطوهم!!؟

نص الجواب: درس العرفان بمعنى معرفة المولى وما يريد منا مطلوب في كل مرحلة من المراحل ، ولكن بشرط كون المعلومات متناسبة مع طبيعة تلك المرحلة ؛ اذ ان الاكثار من الوصايا من دون تدرج ومناسبة لنفسية السالك الى الله تعالى قد يسبب الانتكاسة كما رايناها فيمن لا يرفقون بانفسهم ..

عليكم بكتاب: الطريق الى الله تعالى على الموقع .. واذا كنت او على صلة بحوزة من الحوزات ، فانه يمكننا ارسال الكتاب لك مطبوعا .. واما الذي يدعو الى ترك المخالطة المستلزم لترك واجب النهي عن المنكر فهو مشتبه في قوله ، لان ترك الواجب ليس فيه عذر ابدى . نعم لا بد من ترك مخالطة الغافلين عن ذكر الله تعالى فانه التواجد معهم يبعد العبد عن ربه فضلا عن التأثير بسيرتهم .. ولا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين.

الوصول الى هذه المعرفة:

نص السؤال: قلت بان الحل: (عظم الخالق في انفسهم فصغر ما دونه في اعينهم) .. أتصور شيخنا أن هذا متوقف على معرفة الخالق أولاً .. فالعقل كلما حاول أن يتصوره ارتدّ خاسئا وهو حسير .. فكيف السبيل!؟

نص الجواب: هذه الامور ليست بهذه البساطة ، فالامر يحتاج الى جذبة قوية من الحق ، وهو يحتاج الى صدق من العبد . فما نراه اليوم من الرغبة في العرفان والسير اليه تعالى اما منشؤه : الاستذواق والتخلص من بعض الهموم ، او الوصول لبعض الكرامات الخفية !! والا فمن الذي يسلك الى الحق لانه اهل لان يسلك اليه ؟

اعتقادي ان الله تعالى يبحث بحثا - ان صح التعبير ، والا فلا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء - عن الصادقين من عباده ، فاذا وجد صادقا سلمه بيد ولى الامة وكافل الايتام في زمان الغيبة وهو صاحب الامر(ع)

كيف يعقل ان اردّ انا على رسالتكم ولا يرد هو على صرختكم؟! .. هيهات هيهات.

شرح قطعة عرفانية:

نص السؤال: قال احد العرفاء: متى أعطاك أشهدك برّه ، ومتى منعك أشهدك قهره ، فهو في كل ذلك متعرف إليك ، ومقبل بوجود لطفه عليك .
إذا امكن شرح هذه القطعة !

نص الجواب: عبارة جميلة جزيتم خيرا عليها، ومعناها الاجمالي: إن الله تعالى تجليات مختلفة ..
فمنها: التجلي الجودي، وذلك من خلال العطاء بغير استحقاق ، اظهارا لشدة حبه لعبده ..
ومنها: التجلي القهري، وذلك بمنع العطاء الذي كان يستحقه العبد ، لولا ما صدر منه من سوء الأدب بين يديه ..
ومنها: التجلي العلمي، وذلك بالاشراق الربوبي على نفس العبد مذكرا اياه به مع شدة استغنائه عنه ..
ومنها: التجلي الذاتي، وذلك عندما ترتفع الحجب جميعا ليرى العبد انه ليس في الوجود الا هو.. وهنا يتحقق ارقى انواع التجليات التي يتحول عندها العبد الى موجود في أرقى درجات الطمأنينة والتسليم ، وذلك عندما يرى كل شيء مسلوب التأثير إلا بإذنه ، بمقتضى قوله تعالى: { وما تشاؤون إلا أن يشاء الله } .

معنى معرفة النفس:

نص السؤال: (من عرف نفسه فقد عرف ربه) .. فما المقصود بمعرفة النفس؟.. وكيف تتم معرفة النفس؟.. وماذا اعمل مع المنكرين للدرجات الروحية؟!

نص الجواب: المقصود بمعرفة النفس تلك المعرفة المؤثرة: هي معرفة ملكاتها وطاقاتها، وان هذه الامور بعظمتها لا تأتي من تلقاء نفسها، وانما هنالك مانح لتلك القدرات، اذ ان فاقد الشيء لا يعطيه .. فإذا عرف الانسان بان وجوده لا يبد له ممن يقوم به ، الا وهو الحي القيوم ، انتقل من النفس المغلولة الى العلة التامة المتمثلة بالحق الملك المبين .. اصف الى ان من عرف النفس - على حقيقتها - عرف انها تطلب مولاها من دون تكلف ، وانما مثلها كمثل الطفل الذي سرق من امه ، فنسبها بطول الفراق ، ولو ارجع الى حضن امه ، لرأى ذلك الحنان المفقود مرة اخرى .
إن المعاني الباطنية تحتاج الى شرح صدر، لا يستوعبها الا اهلها .. ولا ينبغي عرض هذه البضاعة - وان كانت من مصادر الوحي - على من لا يعرف قدر ذلك ، لئلا ينكر ذلك منكر فيقع في دركات البعد عنهم.

التعامل مع المدعين:

نص السؤال: أسأل عن التمييز بين مدعي العرفان - الصادق منهم والكاذب - وذلك بسبب الإبتلاء في الحقيقة بأناس يدعون هذا العنوان، ولكنهم ببعض الأساليب التي يمتلكونها إستطاعوا جذب شريحة من المجتمع، ومن ثم إلقاء دروس تسمى بالعرفان مع إدعاء معرفة خبايا النفوس؛ ويتلو هذا الأمر مايتلوه مما تدركون ..فما هو التعليق؟
نص الجواب: إن العرفان الحقيقي يبتني على معرفة الله تعالى حق معرفته ، وماذا يريده من العبد فعلا وتركاه .. وعليه فإن المتصدي لهذا الامر لا بد وأن يكون على مستوى كاف من معرفة الله عز وجل ، ومن الالتزام بحدود الشريعة ؛ إذ ان الذي يريد أن يأخذ بأيدي العباد الى الله تعالى ، لا بد وأن يكون مرشحا من قبل المولى في ذلك ، وذلك بتمتعه بصفات إستثنائية من قبيل : المراقبة المتواصلة ، والمعرفة العلمية الراسخة والرياضات الشرعية الصحيحة .. ومن المعروف ان الذي يسلم زمامه لمن هو غير مكتمل في هذا المجال ، لا يزيده من الله إلا بعدا ، وخاصة الذين لهم شهوة جمع المريدين والمعجبين.

الحاجة الى الاستاذ:

نص السؤال: نحن مجموعة من الاخوات ، نحاول ان نسير في الطريق الى الله تعالى ، ولكن نخاف ان يكون سيرا في الطريق الخاطئ .. اننا نتعاون معا ، ونقرأ كتبنا مثل: السير الى الله للملكي التبريزي ، وشيء من كتاب الاربعون حديثا ... ونحن نحاول ان نأخذ بما نستطيع منها .. فما مدى صحة هذا العمل بدون وجود استاذ حقيقي يرشدنا حسب حالة كل منا؟! .. وهل من الصحيح القول بان كل ذكر انما له عدد خاص ، ولا يعطى اثره بدونه؟ ثم انني لا استطيع ان اجعل لي غرفة خاصة لممارسة العبادة .. فهل حقا هذا يؤثر على سيرتي وعلاقتي بربي؟

نص الجواب: مسألة الاستاذ في الطريق الى الله تعالى من الامور التي تسرع في السير اليه ، ولكن ذلك لا يعني عند فقدة الوقوف من دون بذل جهد ذاتي كما كان دأب السالكين طوال الازمنة عند فقد الاستاذ ، وخاصة في هذا الزمان الذي قل فيه السائرون فضلا عن الاستاذ .. وعليه فلا بد من الاعتماد على الكتب النافعة المعتدلة التي لا تخرج عن ظاهر الشريعة ، والمستفاد من ندير اهل البيت(ع) اضافة الى الواردات القلبية الصادقة ، المقترنه بالتأمل ، والعرض

على الكتاب والسنة ، ومن ثم الاستمداد من الحق المتعال .. واعلمى ان الله تعالى لا يهمل الصادقين من السائرين اليه .. فما نراه من الانتكاس في البعض ، والتراجع عند البعض الآخر ، فلان القوم يستدوقون الامر استذواقا ، ولا يدخلون بقصد الجد في السير الى ان يتحقق اللقاء .

واما العدد فلا يعتمد فيه الا ما ورد عن المعصوم (ع) ؛ فالمهم هو التوجه عند الذكر .. ولا نعتمد على ما يسمى بالاجازة في الذكر، فان الطريق عام للجميع .

كما ينبغي الالتفات الى المولى في شتى الظروف ، فان المكان لا يعد مانعا للعاشقين اذا صدقوا في عشقهم ، فان عالم الارواح يغاير عالم الابدان ، ولا ينبغي ان يفيد الثاني الأول، لكونه محاطا له .. ومن الممكن الاستغراق في تامل الجلال الالهي حتى عند قمة الانشغال بالخلق.

العرفان العملي:

نص السؤال: اننا نفتقر في هذا الزمان الى العرفان العملي، وخصوصاً في الوسط الحوزوي وهو واضح لدى الجميع .. ارجو التعليق موضحا العرفان العملي!

نص الجواب: المقصود بالعرفان العملي هو الالتزام اولاً بظواهر الشريعة التي نجدها من خلال الرسالة العملية ، وبعد ذلك الالتزام بالمراقبة القلبية الدقيقة بحيث يصل العبد الى مرحلة لا يفكر الانسان فيها في اي هاجس لا يرتضيه المولى .. سواء كان شهوياً او غضبياً او فكراً كسوء الظن بالآخرين . والذي لا يبذل جهده في هذا المجال عليه ان لا ينتظر المرابي من الخارج ، فإن المعاني العرفانية معاني واضحة في القرآن والسنة ، ولا يحتاج في معرفتها الى دليل .. نعم ، عند السير والحركة الجادة ، يواجه السالك بعض العقبات التي لا يعرف لها جواباً في الكتب ، وحينئذ يأتيه اما : المدد الغيبي ، او من يبعثه الله من عباده المؤمنين ، واعلم ان طالب العلم لو استقام في سيره لتكفل صاحب الامر (ع) برعايته شعر بذلك ام لم يشعر، كما هو مشاهد في حياة علمائنا الماضين.

ما مدي معرفة الانسان بربه تعالى:

نص السؤال: ما مدي معرفة الانسان بربه تعالى ؟.. وهل يمكن لنا العلم ومعرفة الكاملة بالله ، وكيف وهو تعالى غير محدود واللا يتناهي ؟ !

نص الجواب: المراد من معرفة الله الممكنة للانسان (اذا كان مستعداً لها) العلم واليقين بالله تعالى وصفاته واسمائه الجمالية والجلالية ، واذا ارتقي من هذا ، فهو يصل الى مرحلة الشهود والرؤية القلبية والاستغراق في عظمته وكبريائه وحسنه وبهائه، كما ورد في الاحاديث المعراجية نموذجاً من مقامات اولياء الله تعالى مثلاً يقول سبحانه في صفات اوليائه: فاذا احبني احببته، وحببته الى خلقي، وافتح عين قلبه الى جلالي وعظمتي... ولأستغرقن عقله بمعرفتي، ولأقومن له مقام عقله.... فتقول الروح: إلهي! عرفتني نفسك فاستغنيت بها عن جميع خلقك (الى أن قال): فقال الله عز وجل: وعزتي وجلالي! لا أحجب بيني وبينك في وقت من الأوقات حتى تدخل عليّ أي وقت شئت، وكذلك أفعل بأحبائي..". [الوافي ١٤ : ١٠-٤١]

ولا يعني من ذلك كله الاحاطة بذاته سبحانه، فانه من المستحيل عقلاً وشرعاً؛ ونعم ما أفاد العلامة الشيخ البهائي في شرح الحديث الثاني من كتابه الأربعين :

(المراد بمعرفة الله تعالى الاطلاع على نعوته وصفاته الجلالية والجمالية بقدر الطاقة البشرية، وأما الاطلاع على حقيقة الذات المقدسة فمما لا مطمع فيه للملائكة المقربين والأنبياء المرسلين فضلاً عن غيرهم، وكفى في ذلك قول سيد البشر صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما عرفناك حق معرفتك))، وفي الحديث: ((إن الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار وإن الملائكة الأعلى يطلبونه كما يطلبونه أنتم)).

فلا تلتفت إلى من يزعم أنه قد وصل إلى كنه الحقيقة المقدسة بل أحت التراب في فيه، فقد ضل وغوى وكذب وافترى فإن الأمر أرفع وأطهر من أن يتلوث بخواطر البشر، وكلما تصور العالم الراسخ فهو عن حرم الكبرياء بفراسخ، وأقصى ما وصل إليه الفكر العميق فهو غاية مبلغه من التدقيق.) انتهى كلام الشيخ (رضوان الله عليه).

اقل المعرفة بالله تعالى:

نص السؤال: ما هو اقل مرتبة المعرفة بالله تعالى للمؤمن الموحد ؟

نص الجواب: نعم ما قال في هذا المقام العالم الرباني اية الله ملكي التبريزي رضوان الله عليه في تعليقه من كتابه القيم (لقاء الله) :

بسمه تعالى يجب علي الموحد ان يقول: ان مع جميع الاشياء وجميع اجزاء العالم موجوداً خارجياً حقيقياً محيطاً بها من جميع جهاتها ، نورانياً قيوماً لها ، بل وموجداً لها في كل آن ، وجودها منه ، وقيامها به ، وهو مع ذلك ظاهر و باطن و اول و آخر ، مع كل شيء لا بالممازجة ، ودون كل شيء لا بالمزايلة.

التعبير بالعشق في المأثورات:

نص السؤال: هل ورد التعبير بالعشق في المأثورات في مقام حب الله تعالى والانس به ام لا يجوز هذ اللفظ ولا معني لعشق الانسان بربه كما سمع من بعض اهل العلم ؟

نص الجواب: اعلم أنّ المحبة والودّ والعشق والشوق والإرادة والميل والابتهاج ونحوها تشير إلى معنى واحد ، ففي تعريف الحبّ قالوا : (هو تعلقٌ خاص و انجذاب مخصوص بين المرء وكماله).

وقالوا أيضاً: { ميل النفس إلى الشيء لكمال أو جمال أدركته فيه بحيث يحمله إلى التقرب إليه }
والودُّ هو ☺ : (محبة الشيء وتمني كونه { أي أنّه يصير ذلك الشيء بعينه والتمني هو: { تشهي حصول ما تودّه {

وفي الدعاء: { يا منى المحبين {
والعشق هو: { المحبة المفرطة {

قال العلامة المجلسي رضوان الله تعالى عليه: (عشق من باب تعب ، والاسم العشق وهو الإفراط في المحبة أي أحبّه حباً مفرطاً من حيث كونه وسيلة إلى القرب الذي هو المطلوب الحقيقي) (بحار الأنوار ج ٧٠ ص ٢٥٣ رواية ١٠ باب ٥٥).

وردت هذه الكلمة في الشريعة في مواردٍ معدودة تشير إلى بعضها :

ألف: في الحديث القدسي: { من عشقته فقد قتلته ، ومن قتلته فعليّ ديبه ، ومن عليّ ديبه فأنا ديبه } (شرح الأسماء الحسنى ج ١ ص ٣٤).

ب: وقد ورد في الحديث :

(عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس عن عمرو بن جميع ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أفضل الناس من عشق العباداة فعانقها ، وأحبّها بقلبه ، و باشرها بجسده ، و تفرغ لها ، فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا ، على عسر أم على يسر { (الكافي ج ٢ ص ٨٣ رواية ٣).

ج: عن كتاب الخرائج : (قال الباقر عليه السلام: خرج عليّ عليه السلام يسير بالناس حتى إذا كان بكربلاد على ميلين أو ميل ، تقدّم بين أيديهم حتى طاف بمكان يقال لها المقدفان ، فقال: قتل فيها مائتا نبيٍّ و مائتا سبطٍ ، كلُّهم شهداء ، و مناخُ ركابٍ (أي محط الرحال يقال ناخ البعير في هذا الموضع أي لزمه) و مصارعُ عشاقٍ ، شهداء لا يسبقهم من كان قبلهم و لا لحقهم من بعدهم). (بحار الأنوار ج ٤١ ص ٢٩٥ رواية ١٨ باب ١١٤).

د : ورد - كما في البحار ج ٢٢ - (في فضل سلمان) : إنَّ الجَنَّةَ لأعشَقَ لِسَلْمَانَ مِنْ سَلْمَانَ لِلجَنَّةِ .

فالتعبير بالعشق في مقام محبة الله تعالى وان كان وروده في الاحاديث الشريفة قليلا - ولعله من جهة ان اكثر المخاطبين لم يفهموا منه الا العشق الشهوي والحب البهيمي ولم يستانسوا بهذا التعبير في مقام محبة الله تعالى وهذا نظير عدم ورود كلمة اللامس والشام والذائق في حق الله سبحانه و تعالى لئلا يتصور البعض أنّ الله جسمٌ بخلاف السميع والبصير والمدرّك . - واما في الحقيقة لا فرق بين العشق والحب في المعني ولا ينبغي الاستيحاش منه ، الا انّ الحبّ لفظ عامّ واما العشق يعبر عنه في المراتب العالية من الحبّ كحبّ العارفين بالله واوليائه والشيعه الخالص بالنسبة الي الله تعالى والنبي وآله(عليهم السلام) . فالعشق ليس الا الحب الشديد كما قال تعالى : والذين امنوا اشدّ حبا لله (سورة البقرة).

وفي كلمات العلماء الرباني وشعراء اهل البيت (عليهم السلام) ما لا يحصي ؛ ونورد من جميعها بعض العبارات من واحد من العلماء الربانيين وهو العلامة النراقي فكتابه (جامع السعادات) :

(اعلم انه لا مستحق للحب غير الله - سبحانه - ولا محبوب بالحقيقة عند ذوي البصائر إلا هو، ولو كان غيره - تعالى - قابلا للحب وموضعا له فانما هو من حيث نسبته إليه - تعالى - فمن احب غيره - تعالى - لا من حيث نسبته إليه ، فذلك لجهله وقصوره في معرفة الله وهذه المحبة نهاية درجات العشق ، وغاية الكمال المتصورة لنوع الإنسان وهذا العشق هو الذي افراط العرفاء وارباب الذوق في مدحه ، وبالغوا في الثناء عليه نثراً ونظماً ...)

العشق بالكمال المطلق فطري:

نص السؤال: ما معني العشق الفطري بالكمال المحض ؟

نص الجواب: قال الإمام الخميني قدس سره : الفطرة التي فطر الله الناس عليها هي تلك الحالة والهيئة التي هي من لوازم وجود الناس ومن أسس بنائهم، وهي لطف من الله سبحانه للإنسان خاصة في قبال سائر الموجودات، ينبغي أن نعلم أنّ كلّ أمرٍ يتعلّق بالفطرة لا بدّ وأن لا يقع فيه أيُّ شكلٍ من الخلاف والاختلاف بل من اللازم أن يتفق الناس كلّهم مع الحكم الفطري، العالم منهم والجاهل، المدنيّ والبدويّ وحتى الإنسان الذي يعيش مع الوحوش في الغابات والذي لم يشم رائحة الحياة الاجتماعية. ومن ناحية أخرى إن اختلاف البلدان والأمكنة والأذواق والأهوية والآراء والعادات رغم

تأثيرها على كل شيء حتى على الأحكام العقلية القطعية، يستحيل أن تؤثر وتغير أحكام الفطرة قيد أنملة وأيضاً الاختلاف في الأفهام من ضعف الإدراك وقوته لا يؤثر في أحكام الفطرة، وذلك حيث تقول الآية :

(فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (الروم/ ٣٠) ثم: إن من الأمور الفطرية التي جُبل عليها جميع البشر من غير استثناء هو: (العشق للكمال) فمع التجوُّل في الأدوار التي مرَّت بها البشرية، واستنطاق كلِّ فرد من أفرادهم وكلِّ طائفة من طوائفهم نجد أن هذا العشق والحبَّ قد جُبل في طبيئته ونجد أن قلبه متوجَّه نحو الكمال، بل جميع حركاته ومساعيه ليست هي إلا لأجل هذا الحب الكامن في ضميره فهو يريد الوصول إلى الكمال، ويطلب مشاهدة معشوقه ومحبيه؟ وكلُّ يجد معشوقه في شيء فيطلب ذلك الشيء و يتفانى في سبيله، فأهل الدنيا يحسبون الكمال في الثروة فيسعون للوصول إليها وأهل العلم في العلم فيطلب ذلك الشيء ولا يفتنع به بل يطلب أجمل منه وهكذا، ويعشق القدرة فيصل إليها ثم لا يستقر بل يتزايد حبُّه إليها ولا تخمد نار اشتياقه أصلاً.. بل تزداد لهيباً.. وهذه الحالة تشمل جميع البشرية من غير استثناء .

ثم إنَّ الإنسان إنما يعشق الكمال الذي لا عيب فيه لا كمال بعده، والعلم الذي لا جهل فيه والقدرة التي لا عجز فيها والحياة التي لا موت فيها أي الكمال المطلق { (الأربعون حديثاً) .

فعندما ينظر الإنسان إلى الوردة الجميلة مثلاً ويلدُّ، فهو في الواقع لا يلتذ من الوردة ولا يُريدها كوردة بل النفس تلتذ بالجمال وتحبُّ الجمال فلو فقدت الوردة جمالها فلا تحبُّها النفس أصلاً، وهكذا بالنسبة إلى كلِّ هالك وأفل، فالمطلوب إذاً هو الجمال والكمال غير المحدود وغير المؤرَّط، وهو الله سبحانه .

العشق فعلي حقيقي فالعشوق فعلي حقيقي :

وحيث إن العشق في الإنسان أمرٌ فعلي حقيقي وليس بموهوم أو متخيل إذ أن كلَّ موهوم هو ناقص، والفطرة إنما تتوجَّه إلى الكامل، فإذاً هناك معشوقٌ فعلي حقيقي وهو الكمال المطلق وهو الله سبحانه وهو موجود بالفعل: { أفي الله شكُّ قاطر السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } (إبراهيم/ ١٠) .

وهو واحد لا شريك له وأحدٌ غير مرَّكَّب (ويعني بالتركيب أعم من التركيب في الخارج أو في الذهن والتصوُّر، لأنَّ المركب مهما كان يتكوَّن من أجزاء وكلِّ جزء يحتاج إلى الآخر كما أن الكل يحتاج إلى أجزاءه، والله هو الغني المطلق) لأنَّ كلَّ كثير ومرَّكَّب ناقص، لأنَّ الكثرة لا تكون دون محدودية والمحدودية نقص (لأنَّ المحدود يلزم المكان والزمان الخاص فإن كان هنا فهو ليس هناك وإن كان في هذا الزمان فهو ليس في ذلك الزمان فهو إذاً ليس بمطلق) ، وكلُّ ناقص مرغوب عنه من جانب الفطرة .

ومن هذا المنطلق نشاهد الإنسان يسعى وراء كل ما يراه مشتتلاً على الكمال فيعشقه .

وجميع مصاديق العشق المجازي (وهو العشق الذي أطلق عليه اللفظ مجازاً من باب الإسناد إلى غير ما هو له كما تقول جرى الميزاب والماء هو الجاري أو مشى زيدٌ والسفينة التي هو راكبها قد مشت) ترجع إلى هذا الأمر حيث يرى العاشق محبوبه الحقيقي أعني المطلق في ذلك الموجود الخارجي فيحبُّه ويرغب إليه .

ومن هنا يمكننا أن نعرف دور الأنبياء والأولياء فهم لم يُبعثوا لإزالة ذلك العشق الفطري للكمال وتحطيمه ، بل بُعثوا لأجل تصحيح وجهة العشق وهدايته إلى الكمال المطلق الحقيقي الفعلي لا الكمال الموهوم .

وبعبارة أخرى مهمَّة الأنبياء والأولياء هي إرجاع العباد إلى الله سبحانه وتعالى الذي هو أمانيتهم ومأمولهم الواقعي فلا يطلب العبد من ربه شيئاً سوى نفسه فهو يريد كل البهاء (البهاء هو الحسن والمقصود من كل البهاء أي البهاء الذي لا حدَّ له وهو الله تعالى) وكل الجمال وكل الرحمة وكل النور وكل الأسماء فهو إذاً يطلب الله سبحانه ويريد أن يرجع إليه :

(إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى) { (العلق/ ٨) ويلقاه ويسرُّ ويأنس به : (يا سرور العارفين يا منى المحبين يا أنيس المرئيين يا حبيب التوابين يا رازق المقولين يا رجاء المذنبين يا قرة عين) (وقرة العين رؤية ما تقر به العين يقال أقر الله عينيك أي صادف فؤادك ما يرضيك فنقر عينك حتى لا تطمح بالنظر إلى ما فوقه) (العابدين

(بحار الأنوار ج ٩٤ ص ٣٨٩ رواية ٣ باب ٥٢) {يا سرور الأرواح ويا منتهى غاية الأفراح} (بحار الأنوار ٩٤ ص ١١١ رواية ١٦ باب ٣٢) .

ولا دواء للنفوس إلا اسمه ولا شفاء للقلوب إلا ذكره : (يا من اسمه دواء وذكره شفاء) { (دعاء كميل) .

هل الدين إلا الحب:

فأتضح مما تلونا عليك أن الدين ليس هو الشريعة فحسب أعني القانون الصادر من الشرع المقدس المشتمل على الأحكام المختلفة من الوجوب والحرمة والاستحباب والكره والإباحة ! فليس الدين هو الصلاة ! والزكاة ! وسائر

العبادات وليس هو المعاملة كما تصوّر البعض! بل كلُّ تلك الأمور هي ظاهر الدين وأما باطنه وروحه هو العشق بالله تعالى والتقرب إليه.

مكاتبات عرفانية بين آيتين:

نص السؤال: قرأت بعض المكاتبات بين آية الله السيد احمد الكربلائي والعلامة الكمباني .. هل صحّت نسبة هذه المكاتبات لهما؟ و السيد احمد الكربلائي هو من فقهاء الشيعة ومن اعظم تلامذة الاخلاقي الكبير : حسينقلي الهمداني كما صرّح به العلامة المحدث الطهراني في كتابه:(هدية الرازي) . مشكلتي انه رايت فيها مايشابه كلمات العرفاء والمتصوفة كنفي الصفات عن الله تعالى ، والتصريح بوحدة الوجود وغيرها .. هل نفي الصفات لاينافي مع عينية الصفات مع ذاته تعالى ، وهو من مسلمّات عقائدنا معشر الشيعة؟ لو تفضّلتُم بالشرح والايضاح؟

نص الجواب: يجب قبل كلّ شيء التنبه لامر وهو: ان المعارف الالهية في مدرسة اهل البيت (عليهم السلام) ليست في حدّ واحد وفي مرتبة واحدة ، و ايضا ماكان ولايكون المؤمنون في مستوي واحد من الايمان والمعرفة كما صرحت به الاحاديث الشريفة ؛ فيهم المؤمن الساذج ، وفيهم المؤمن البصير والمجاهدالسالك .

قال مولانا الصادق(عليه السلام): يا عبد العزيز! إنّ للايمان عشر درجات بمنزلة السلم يصعد منه مرقاة بعد مرقاة - الى ان قال عليه السلام - و اذا رأيت من هو اسفل منك بدرجة فارفعه إليك برفق ، ولا تحملنّ عليه ما لا يطيق فتكسره . قال تعالى: انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها (الرعد/١٧) قال العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان ذيل الآية: (... الآية الكريمة من غرر الآيات القرآنية تبحث عن طبيعة الحق و الباطل.... فإنما تنال الأشياء من العطية الإلهية بقدر قابليتها و استعداداتها و تختلف باختلاف الاستعدادات و الظروف و الأوعية..... اعلم أن هذه الأصول كما تجري في الأمور العينية و الحقائق الخارجية كذلك تجري في العلوم و الاعتقادات ؛ فمثل الاعتقادات الحق في نفس المؤمن مثل الماء النازل من السماء الجاري في الأودية على اختلاف سعتها وينتفع به الناس وتحبى قلوبهم ويمكث فيهم الخير والبركة ، ومثل الاعتقاد الباطل في نفس الكافر كمثّل الزبد الذي يربو السيل لا يلبث دون أن يذهب جفاء ويصير سدى ، قال تعالى: «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء»: إبراهيم: ٢٧). انتهى موضع الحاجة .

والانسان يجب ان لايتعجل في الحكم في حقائق الدين بالنفي والايجاب الا بعد اليقين والخبروية : قال سبحانه : ولاتقف ما ليس لك به علم ، ومن الجهل والتعجيل الرمي بالتصوف للعلماء الرباني اذا سمعنا منهم ما يثقل علينا ، ولاتستأنس به اذهاننا . فعلينا التأمل والتثبت في الحكم . وماحسن فيهذا المقام كلام آية الله الملكي في كتابه (لقاء الله): (نعم!.. من الطبيعي أن يشمّز الانسان من الأشياء التي يجهلها.. وعلى كل حال ، فإذا كان مسلك ذلك الإنسان أن يردّ على حقيقة لم يستطع فهمها من البداية، فإنه سوف يخرج عن الإيمان، بل وحسب تعاليم الإمام الصادق (ع) فإنه إذا لم يستطع فهمها من بعد التأمل والتحقيق أيضاً، فعليه أن يسكت، ولا يجوز له أن يردها أو ينكرها واتخذ ذلك الردّ والإنكار مذهباً له يتدين به، فإنه سوف يخرج عن الإيمان .

ومن الخير للإنسان عندما يصطدم بمعضلة من هذه المسائل في كلام الأنبياء والأولياء والعلماء الصادقين، ولم يتوصل إلى كنهها، أن يتضرع إلى الله تعالى واهب العلم والعقل، وأن يُخلص نيته، وأن يجدد ويعيد نظره، ويفكر في كلامهم (ع) كراراً. وعليه أيضاً أن يرجع إلى أتقياء العلماء، وليستفسر منهم، ويسألهم إن أمكنه الوصول إليهم .. فإذا صنع ذلك فمن المؤكد أن ربّ العالمين سوف يوضح له تلك المعضلة ، أو يرشده إلى طريق فهمها .

ولا نقاش في وجود مثل هذه المطالب العالية والأسرار الربانية في الدين الحق (...)

أما المكاتبات المذكورة بين الآيتين مما لاشكّ فيها ، وصرّح به جمع من علمائنا ؛ فيها من الغوامض الالهية من الحكمة والعرفان ، ويختصّ بدركها العالم الجامع بين المعقول والمنقول .

واما مسألة نفي الصفات عن الذات او العينية ، هي ايضا مما لم يكلف بالغور فيها العامة من الناس ، وليس ههنا مقام ذكره . ولعل في باب (الاسماء والصفات) في قسم العقائد مايفيدك فيه .

للدين حقايق واسرار:

نص السؤال: هل صحيح مايقال: ان في الدين حقايق واسرار مكتومة لا يصل اليها كلّ الناس؟ اذا كان صحيحا .. لماذا لم يجعل الله تعالى لجميع الناس القدرة لفهمها وللوصول اليها؟.. وما حقيقتها وكيفيتها ، الرجاء مع الدليل؟

نص الجواب: لاشكّ لمن تدبرفي الآيات القرآنية وروايات المعصومين (عليهم السلام) ان الاسلام دين عظيم واسع له ابعاد مختلفة متناسبة مع الفطرة الانسانية ومع ابعاد وجود الانسان المختلفة . وكما ان الانسان لاينحصر في البعد الجسمي او البعد الروحي ، كذلك الدين الالهي الذي انزله الله تعالى لسعادة الانسان الدنيوية والاخروية والجسمية والروحية ، ولاخراجنا من الظلمات الي النور ، هذا الدين لاينحصر في ابعاد خاصة ؛ بل هو دين كامل ذوابعاد كثيرة لا يصل الناس الي كمالهم الفطري . وكما ان الانسان ليس فقط هوالبدين المادي ، وايضا العالم الخلقة مع سعته العظيمة

وجميع عوالم الملكية والملكوئية لا ينحصر في عالم الاجسام والمادة ، كذلك المعارف الدينية لها اسرار واغوار وحقائق ذومراتب وطبقات كثيرة ، وللايمان واليقين والمعرفة مدارج ومراتب ، وبعد هذا كله للانسان منة وقدرة للسير الصحيح في صراط الدين للوصول الي كماله وهو المسمي بمقام العبودية التامة : (اشهد ان محمدا عبده ورسوله) حيث قدمت العبودية علي الرسالة ، وفي هذا المقام للواصلين اليه مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر علي قلب احد من المواهب الالهية كما في الروايات المأثورة ، وهذا الانسان هو خليفة الله في العالم . هذا اجمال المطلب ، ومن ثم نلتفت بنكتة اخري وهو اختلاف الناس وتفاوتهم في السير الي الله تعالي والصعود في عوالم القرب ، وبالتبع تفاوتهم في الادراك والمعرفة والبصيرة ، و في تلقيهم المعارف الدينية . ولهذا الاختلاف اسباب ظاهرية وباطنية ، ولاشك انّ للهمة العالية أثرها الخاصة والاساسية في تكامل الانسان . ويعجبني ان اذكر شطرا من كلام العلامة الاميني(قدس سره) في كتابه القيم : الغدير - في الاشارة الي اختلاف مراتب الايمان والمعرفة - حيث يقول :

وفذللكه المقام ان النفوس تتفاوت حسب جلالها واستعداداتها في تلقي الحقائق الراهنة ، فمنها ما تبهظه المعضلات والاسرار ، ومنها ما ينبسط لها فيبسط اليها ذراعا ويمد لها باعا ، وبطبع الحال ان الفئة الاولى لا يسعها الرضوخ لما يعلمون ، كما ان الاخرين لا تبيح لهم المعرفة ان يذروا ما حققوه في مدحرة البطلان ، فهناك تثور المنافرة ، وتحتدم الضغائن ، ونحن نقدر للفريقين مسعاهم لما نعلم من نواياهم الحسنة وسلوكهم جدد السبيل في طلب الحق ونقول :

على المرء ان يسعى بمقدار جهده — وليس عليه ان يكون موقفا

الا ان الناس لمعادن كمعادن الذهب والفضة . وقد تواتر عن ائمة اهل البيت(ع) : ((ان امرنا ، او حديثنا صعب مستصعب لا يتحملة الا نبي مرسل او ملك مقرب ، او مؤمن امتحن الله قلبه بالايمان)) اذن فلا نتحرى وقبعة في علماء الدين ولا نمس كرامة العارفين ، ولا ننقم من احد عدم بلوغه الي مرتبة من هو ارقى منه ، اذ لا يكلف الله نفسا الا وسعها ، وقال مولانا امير المؤمنين (ع) : ((لو جلست احدتكم ما سمعت من فم ابي القاسم (ص) لخرجتم من عندي وانتم تقولون: ان عليا من الكاذبين)) .

وقال امامنا السيد السجاد(ع) : (لو علم ابو ذر ما في قلب سلمان لقتله ، ولقد آخى رسول الله (ص) بينهما ، فما ظنكم بسائر الخلق؟) . (وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما) .

والى هذا يشير سيدنا الامام السجاد زين العابدين (ع) بقوله :

اني لاكتم من علمي جواهره
كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتننا
وقد تقدم في هذا ابو حسن
الي الحسين واوصى قبله الحسن
فربّ جوهر علم لو ابوح به
لقيل لي انت ممّن يعبد الوثننا
ولاستحلّ رجال مسلمون دمي
يرون اقبح ما ياتونه حسنا
(الغدير ج ٧)

الطرق الصحيحة لمعرفة الله:

نص السؤال: ما هو الطرق الصحيحة لمعرفة الله سبحانه وصفاته ؟

نص الجواب: أنّ الحقّ سبحانه وأسمائه وصفاته، وإن كانت غير مسانخة لمدرجات العالم المحسوس، لكنّها ليست على نحو يستحيل التعرف عليها بوجه من الوجوه، ومن هنا نجد أنّ الحكماء و المتكلمين يسلكون طرقاً مختلفة للتعرف على ملامح العالم الربوبي، وها نحن نشير إلى هذه الطرق :

الأول: الطريق العقلي

إذا ثبت كونه سبحانه غنيّاً غير محتاج إلى شيء، فإنّ هذا الأمر يمكن أن يكون مبدأً لاثبات كثير من الصفات الجلالية، فإنّ كلّ وصف استلزم خللاً في غناه ونقصاً له، انتفى عنه ولزم سلبه عن ذاته .

وقد سلك الفيلسوف الاسلامي نصير الدين الطوسي هذا السبيل للبرهنة على جملة من الصفات الجلالية حيث قال :
«وجوب الوجود يدلُّ على سرمديته، ونفي الزائد، والشريك، والمثل، والتركيب بمعانيه، وال ضد، و التحيز، و الحلول، والاتحاد، والجهة، وحلول الحوادث فيه، و الحاجة، والألم مطلقاً، واللذة المزاجية، والمعاني، والأحوال، والصفات الزائدة والروية .»

بل انطلق المحقق من نفس هذه القاعدة لاثبات سلسلة من الصفات الثبوتية حيث قال:«وجوب الوجود يدل على ثبوت الجود، والملك، والتمام، والحقية، والخيرية، والحكمة، والتجبر، والقهر، والقيومية». (كشف المراد: المقصد الثالث، الفصل الثاني، المسألة: ٧-٢١).

وعلى ذلك يمكن الأذعان بما في العالم الربوبي من الكمال والجمال بثبوت أصل واحد وهو كونه سبحانه موجوداً غنياً واجب الوجود، لأجل بطلان التسلسل ، وليس إثبات غناه ووجوب وجوده أمراً مشكلاً على النفوس .
ومن هذا تتفتح نوافذ على الغيب والتعرّف على صفاته الثبوتية والسلبية، وستعرف البرهنة على هذه الصفات من هذا الطريق .

الثاني: المطالعة في الأفاق والآنفس من الطرق والأصول التي يمكن التعرّف بها على صفات الله، مطالعة الكون المحيط بنا، وما فيه من بديع النظام، فإنه يكشف عن علم واسع وقدرة مطلقة عارفة بجميع الخصوصيات الكامنة فيه، وكلّ القوانين التي تسود الكائنات، فمن خلال هذه القاعدة وعبر هذا الطريق أي مطالعة الكون، يمكن للإنسان أن يهتدي إلى قسم كبير من الصفات الجمالية، وبهذا يتبين أنّ ذات الله سبحانه وصفاته ليست محجوبة عن التعرّف المطلق وغير واقعة في أفق التعقل، حتّى نعطل العقول، وقد أمر الكتاب العزيز بسلوك هذا الطريق، يقول سبحانه :

(قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) . (يونس : ١٠١) .
وقال سبحانه : (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ) . (آل عمران : ١٩٠)
وقال سبحانه : (إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ) . (يونس : ٦)
الثالث: الرجوع إلى الكتاب والسنة الصحيحة

وهناك أصل ثالث يعتمد عليه أتباع الشرع، وهو التعرّف على أسمائه وصفاته وأفعاله بما ورد في الكتب السماوية وأقوال الأنبياء وكلماتهم، وذلك بعدما ثبت وجوده سبحانه وقسم من صفاته، ووقفنا على أنّ الأنبياء مبعوثون من جانب الله وصادقون في أقوالهم وكلماتهم .

وباختصار، بفضل الوحي - الذي لا خطأ فيه ولا زلل - نقف على ما في المبدأ الأعلى من نعوت وشؤون، فمن ذلك قوله سبحانه :

(هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) . (الحشر : ٢٢-٢٣) .

الرابع: الكشف والشهود:

وهناك ثلثة قليلة يشاهدون بعيون القلوب ما لا يدرك بالابصار، فيرون جماله وجلاله وصفاته وأفعاله بإدراك قلبي، يدرك لأصحابه ولا يوصف لغيرهم .

والفتوحات الباطنية من المكاشفات أو المشاهدات الروحية والالقاءات في الروح غير مسدودة، بنص الكتاب العزيز .
قال سبحانه :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَقْوَا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) . (الأنفال : ٢٩) .

أي يجعل في قلوبكم نوراً تفرّقون به بين الحقّ والباطل، وتميّزون به بين الصحيح والزائف، لا بالبرهنة والاستدلال بل بالشهود والمكاشفة .

وقال سبحانه :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) . (الحديد : ٢٨)

والمراد من النور هو ما يمشي المؤمن في ضوئه طيلة حياته في معاشه ومعاده، في دينه ودنياه .
وقال سبحانه :

(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) . (العنكبوت : ٢٩)

إلى غير ذلك من الآيات الظاهرة في أنّ المؤمن يصل إلى معارف وحقائق في ضوء المجاهدة والتقوى، إلى أن يقدر على رؤية الجحيم في هذه الدنيا المادية .

قال سبحانه : (كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ) . (التكاثر : ٥-٦)

نعم ليس كلُّ من رمى، أصاب الغرض، وليست الحقائق رمية للنبال، وإنما يصل إليها الأمثل فالأمثل، فلا يحظى بما ذكرناه من المكاشفات الغيبية والفتوحات الباطنية إلا النزر القليل ممّن خلّص روحه وصفاً قلبه .

المراد من نفي جميع الصفات عن الذات:

نص السؤال: بعد الأذعان بعينية صفات الله تعالى مع الذات رايت في كلمات بعض عظماء الشيعة التصريح بنفي الصفات عن الذات وهو ليس فقط الصفات الزائدة بل الأعم من الزائدة وغيرها .. فهل له معنى صحيح ؟

نص الجواب: نفي الصفات الزائدة عن ذاته تعالى فهو من المسلمات بين الامامية لاننا نعتقد به بالبراهين العقلية والنقلية . واما نفي جميع الصفات والاسماء - كما يلوح من كلمات بعض الاكابر، و يشار اليه في بعض الروايات - فهو لاينافي مسألة عينية الصفات مع الذات ، بل هو نظر ادقّ واعمق والطف الي مسألة الصفات ، ونشير اليه اجمالاً فنقول :

وجوده تعالي - كما ثبت في محله - وجود محض ، ليس فيه سبحانه حدّ ونفاد ، بل هو لايتناهي في الكمال والوجود والجمال والجلال ... وليس مركبا من شيء وشيء بل ذاته في غاية البساطة والاحدية والتفرد ، ولايفقد شيئا من الكمالات من العلم والقدرة والحياة وسائر الوصاف الكمالية ، بل هو ينبوع الكمال والمجد والكبرياء والعظمة ، وفوق ما لايتناهي من شدة الوجود والبهاء والجمال والجلال بما لا يتناهي ... هذا من جهة .

ومن جهة اخرى : اذا تأملنا في جميع الصفات التي نصفه سبحانه ومعانيها نجد : ان كل واحد منها وان كانت صفة كمالية فهو لا يحاكي حقيقة الذات من جميع جهات الكمال لان الصفة في داخل مفهومه محدود بصفة واحدة خاصة ولا غير ؛ معني العلم لا يحكي عن القدرة والحياة وسائر الاوصاف... ومفهوم الحياة لا يحكي عن العظمة والارادة وغيرها ، هكذا كل مفهوم من المفاهيم مقصور في دائرة نفسه ومحصور في معناه ولا يتعدى عنه ؛ وهذا المعني ليس الا المحدودية ؛ والمفهوم المحدود كيف يكون اية لغير المحدود؟! وكيف يحاكي عن وجود غير متناهي الكمال والعظمة؟! نعم ، التعبير الصحيح ان نقول : جميع الاسماء و الصفات الكمالية موجودة ومستهلكة بنحو اعلي واتم في ذاته سبحانه ، بشرط خروجها وانعزالها عن حدودها المفهومية والماهوية . وهذا هو المراد من نفي الصفات عن الذات ، واليه الاشارة في كلمة مباركة وهو التكبير) : الله اكبر) ، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قال رجلٌ عنده: الله أكبرُ. فقال: الله أكبرُ من أي شيءٍ؟! فقال: من كل شيءٍ. فقال أبو عبدالله: حدّدته! فقال الرجل: كيف أقول؟! قال: قل: الله أكبرُ من أن يُوصَفَ . (اصول كافي» ج ١ ص ١١٧)

بعبارة اخرى: كل ما ثبت له من اوصاف كمالية في مبحث: عينية الصفات مع الذات ، ننظر اليه ثانيا بنظر ادق والطف ، وننفيه عن الذات المتعالية ، لا من جهة خلوها عن الصفات ، بل من جهة علو مقام الذات و عظمتها وعدم تناهيه ، و محدودية معاني الصفات وعدم قابلية انطباق الصفات علي الذات . قال مولانا السجاد (عليه السلام) : ضلت فيك الصفات ، وتفسخت دونك النعوت ، وحارت في كبرياتك لطائف الاوهام (الصحيفة) ولعل الي هذا اشار امير المؤمنين (عليه السلام): كمال الاخلاص نفي الصفات عنه .

قال العلامة الطباطبائي (في شرح خطبته عليه السلام) :

..... أما مسألة نفي الصفات عنه : فقد بينه (عليه السلام) بقوله « أول الدين معرفته» لظهور أن من لم يعرف الله سبحانه و لو بوجه ، لم يحل بعد في ساحة الدين ، و المعرفة ربما كانت مع عمل بما يرتبط به من الأفعال و ترتب آثار المعروف ، و ربما كانت من غير عمل . و من المعلوم أن العلم فيما يتعلق نوع تعلق بالأعمال إنما يثبت و يستقر في النفس إذا ترتب عليه آثاره العملية ، و إلا فلا يزال العلم يضعف بإتيان الأعمال المخالفة حتى يبطل أو يصير سدى لا أثر له

فالعلم و المعرفة بالشيء إنما يكمل إذا أخذ العارف معرفته صدقا ، و أظهر ذلك في باطنه و ظاهره و جنانه و أركانه ، بأن يخضع له روحا و جسما

ثم إن للتوحيد مراتب مختلفة بعضها فوق بعض ، ولا يكمل حتى يعطى الإله الواحد حقه من الألوهية المنحصرة ، ولا يقتصر على مجرد تسميته إلهيا واحدا ، بل ينسب إليه كل ما له نصيب من الوجود والكمال كالخلق والرزق والإحياء والإماتة والإعطاء والمنع ، وأن يخصّ الخضوع والعبادة به ، فلا يتذلل لغيره بوجه من الوجوه ، بل لا يرجي إلا رحمته ، ولا يخاف إلا سخطه ، ولا يطمع إلا فيما عنده ، ولا يعكف إلا على بابه. وبعبارة أخرى أن يخلص له علما وعملا، وهو قوله (عليه السلام): «و كمال توحيده الإخلاص له .»

وإذا استوى الإنسان على أريكة الإخلاص، و ضمته العناية الإلهية إلى أولياء الله المقربين ، لاحت على بصيرته لوائح العجز عن القيام بحق المعرفة ، وتوصيفه بما يليق بساحة كبريائه وعظمتها ، فإنه ربما شاهد أن الذي يصفه تعالى به معان مدركة مما بين يديه من الأشياء المصنوعة ، وأمور ألفها من مشهوداته الممكنة ، وهي صور محدودة مقيدة يدفع بعضها بعضا ، ولا تقبل الانتلاف والامتزاج ؛ انظر إلى مفاهيم الوجود والعلم والقدرة والحياة والرزق و العزة والغنى وغيرها .

والمعاني المحدودة يدفع بعضها بعضا لظهور كون كل مفهوم خلوا عن المفهوم الآخر ، كمعنى العلم عن معنى القدرة ، فإننا حين ما نتصور العلم نصرف عن القدرة ، فلا نجد معناها في معنى العلم ، وإذا تصورنا معنى العلم و هو وصف من الأوصاف ننزل عن معنى الذات وهو الموصوف .

فهذه المفاهيم و العلوم و الإدراكات تقصر عن الانطباق عليه جل شأنه حق الانطباق، و عن حكاية ما هو عليه حق الحكاية فتمس حاجة المخلص في وصفه ربه إلى أن يعترف بنقص لا علاج له، و عجز لا جابر دونه فيعود فينفي ما أثبتته، و يتيه في حيرة لا مخلص منها، وهو قوله (عليه السلام): «و كمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، و شهادة كل موصوف أنها غير الصفة». (الميزان ج ٦ سورة المائدة آية ٧٣).

جميع الموجودات تجليات الالهية:

نص السؤال: قيل: (جميع الموجودات تجليات الالهية) .. هل هذه العبارة من جهة الشرع صحيحة؟ .. وهل ورد التعبير في الشريعة في بيان مخلوقات الله سبحانه بالتجلي والظهور؟! ام هذه العبارات من العرفاء والمتصوفة؟! وان كان صحيحا .. فما معني التجلي والجلوات والظهور؟

نص الجواب: التعبير بالتجلي والظهور كثير الورد في معارف الدين بل في القرآن الكريم كما قال تعالى: فلما تجلى ربّه للجبل الاية ، وقال سبحانه: هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكلّ شيء عليم (الحديد) . و ورد ايضا في الاحاديث والادعية عن المعصومين (عليهم السلام) وفي كلمات الاولياء وعلماء الدين .

قال امير المؤمنين(عليه السلام): «لم تحط به الاوهام، بل تجلى لها بها، و بها امتنع منها .»
وقال (ع): «ظاهر في غيب، و غائب في ظهور .»

وقال (ع): «لا تجنه البطون عن الظهور، و لا تقطعه الظهور عن البطون، قرب فناى، و علا فدنا، و ظهر فبطن، و بطن فعلمن، و دان و لم يدن» (نهج البلاغة).

وفي الدعاء (اللهم اني اسئلك بالتجلي الاعظم ...) و(بما تجليت به على...) .

واما المعنى والمقصود من هذه العبارات :

الجلوة والتجلي والظهور قريب المعنى وهو الابانة والانكشاف والبُدوّ والنور والتنوير بعد الخفاء والكتمان والتستر ... ولهذا المعنى مصاديق مختلفة ومراتب متفاوتة ؛ قد يكون التجلى والظهور علميًا و اشراقياً كالتجليات الالهية في قلوب اولياء الله تعالى وانوار معرفته : (انت الذى اشرفت الانوار في قلوب اوليائك حتى عرفوك ووحّدوك) (ذيل دعاء العرفة) .

وقد يكون عينياً كايجاد موجود خاصّ او حادثة مخصوصة او معجزة وكرامة لابانة حقّ وانكشاف حقيقة ... وقد يراد منه جميع الموجودات من جهة انّ جميعها آيات قدرته وعظمته وكبريائه ، وحاكية عن جماله وجلاله . وفي القرآن الكريم يعبر في آيات كثيرة عن جميع المخلوقات والكاننات بآيات الله .

فالتعبير بانّ : (جميع الموجودات تجليات الالهية) صحيح ، فانه تعالى بعلمه وقدرته اخرجهم من ظلمات العدم الي نور الوجود ، وجعلهم مرئي صفاته واسمائه ؛ والخلائق طرّاً فقراء اليه تعالى و يستمدون منه في حدوثهم وبقائهم وجميع شئونهم وجميع آفاتهم واحوالهم . والامر المهم هو ادراك هذه الحقيقة ، ولاينكشف لكل احد الا من اختصّه الله سبحانه بعنايته ، وامدّه بانوار محبّته ومعرفته ، فهو لسان حاله يقول: (مارايت شيئاً الا ورايت الله قبله وبعده ومعهم) . كما قال العالم الرباني العلامة النراقي (قدّس سرّه): ان اجلّ اللذات و اعلاها هو معرفة الله تعالى و النظر الى وجهه الكريم ، ولا يتصور ان يؤثّر عليها لذة اخرى الا من حرم هذه اللذة. (جامع السعادات).

فالموجودات في جنب عظمة الله تعالى وكبريائه واحاطته و وحدته الحقه كانتها لاشيء محض و عدم بحت . وننقل في هذا المقام عبارات اخرى من العلامة المولى المهدي النراقي حيث يقول في كتابه (اللمعات العرشية) :

...لاخلاف بين الكل في ان الواجب تعالى صرف الوجود و النور، و محض الانية و الظهور، متعين بذاته من كل وجه، و لا كثرة فيه من جهة، مطلق من جميع القيود التي هي نقائص الامكان و قصورات طوارق الحدثنان، محقق الحقائق و الاعيان و مظهر مهيئات الاكوان، و محض الفعلية و الكمال، و اتم التام و فوق التمام، و مجرد عن كل قيد حتى عن الاطلاق و التجريد، و منزّه عما سواه حتى عن التنزيه و التقديس .

....كل معلول بالنظر الى علته امر متحقق و متحصل؛ و بالنظر الى ذاته امر اعتباري. فالتحقق و التحصل في الحقيقة ليس الا للعلة. فالناظر الى المعلولات بملاحظة العلة او في حال الغفلة او بحسب الظاهر و جليل النظر يراها حقائق متحصلة في الخارج ذوات آثار خارجية ؛ و الناظر الى ذواتها مع قطع النظر عن علتها و عند التثبت و التحقيق و بحسب الواقع و دقيق النظر ، يراها اعتبارات محضة و امورا تعلقية ارتباطية ، بل مجرد تعلقات و ارتباطات و شئون و حيثيات للعلة ؛ و يرى ان لا حقيقة لها سوى علتها ؛ فالعلة هي حقيقتها ، اذ حقيقة الشيء ما به تحققه ، و تحقق المعلول انما هو بعلمته .

و بالجملة: من عرف معنى العلة و القيوم و حقيقة العلية و القيومية يعلم ان المعلول و لو كان بعد صدوره امرا لا يحتاج في تحققه و قيامه بنفسه الى امر آخر سوى علته كالموجودات الخاصة بالنظر الى ذاته امر اعتباري لا تحقق له ، اذ ما للغير يرجع اليه ، فيبقى هو في نفسه محض الفقر و الفاقة .

.....ان الواجب صرف الوجود التام ، فوق التمام ، المطلق عن كل قيد ، و المعرى عن كل نقص و عيب ؛ و على ان جميع الوجودات الخاصة المقيدة بظلمات المهيئات الامكانية معلولة مجعولة له ، صادرة ظاهرة منه ؛ و ان هذه المعلولية و الصدور انما هو بالترتب عليه و التعلق و الارتباط به و الانتساب و الاضافة اليه ، فكانها اظلال قائمة به ، و لا تقرر و لا تحقق بها في نفسها ، بل انما ثبوتها و تقررها من تلقائه

فهو في علو مرتبته خارج عن كل شيء و ان لم يخرج منه شيء ؛ فسيحان الذي لا يخلو من وجوده شيء ، و هو في علو مجده و كبريائه خارج عن الجميع : « داخل في كل شيء لا بمقارنته ، و خارج عنها لا بمزايلة » . انتهى ما اردنا من كلامه ، رزقنا الله و اياكم حبه و معرفته و لقاؤه بمحمد و آله الطاهرين .

العرفان الحقيقي في طريق اهل البيت (عليهم السلام):

نص السؤال: ما معنى العرفان الحقيقي ؟ .. وهل نحن نحتاج الي شيء زائد من خارج الدين ؟ .. ما هي الادلة والبراهين في ان للاسلام و التشيع شيء غير هذه الاعمال الصالحة و الظواهر الدينية ؟

نص الجواب: البحث في العرفان و المعرفة يحتاج الي مجال واسع ، و تحقيق و تأمل اكثر من قراءة اسطر و محادثة سريعة ، لانه بحث و تحقيق في اهم حقائق الدين ، و هو سبيل النيل الي الكمالات الانسانية المعنوية و السعادة الحقيقية ، واما من باب " ما لا يدرك كله لا يترك كله " نقول : من تأمل في معاني آيات القرآن الكريم و الاحاديث المأثورة من اهل بيت النبوة الذين هم حملة اسرار الدين و معلموا القرآن الكريم) بتنصيب النبي الاكرم صلي الله عليه و آله) ، لا يشك ان للدين حقائق و اسرار ، و بواطن ما وراء الظواهر . و الهدف الاسمي و المقصد العظمي من ارسال الرسل و الكتب الالهية - و بالاخص في دين الاسلام الذي هو آخر الاديان السماوية و اكملها و الناسخ لجميعها - ايصال الانسان الي اعلي مراتب كماله الذي خلق لاجله ، و يسر له استعداداته و ممهدهاته الجسمية و الروحية . و كمال الانسان و سعاداته الحقيقية لا ينحصر في الامور الجسمية المادية و لا يحد في الاعمار القليلة في هذه الدنيا ؛ بل العقل و النقل و الفطرة الانسانية يحكم بابدية حياة الانسان بعد مهاجرته من هذا المنزل الادني ، هذا .

و من احسن الكتب في اثبات هذا المطلب " رسالة الولاية " للعلامة الطباطبائي (رضوان الله تعالى عليه) . و ننقل شطرا منها :

ان من المسلم عند عامة من يرى الرجوع الي الكتاب و السنة معاً : ان هناك معارف و اسراراً و علوماً خفية مخفية عنا لا يعلمها الا الله - عزاسمه - او من شاء و ارتضى ، و الكتاب الالهي مشحون بذلك ، و كفي فيه قوله سبحانه : انما الحياة الدنيا لعب و لهو (سورة محمد 36) .

و ان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون (العنكبوت/ 64) ، اي ان الحياة الحقيقية الصادقة هي الحياة الآخرة قوله سبحانه : يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا و هم عن الآخرة هم غافلون (الروم/ 7) . و هذه الآية تشعر بان للحياة الدنيا شيئاً آخر غير ظاهره ، و انه هي الآخرة

و يدل على هذا قوله سبحانه : فأعرض عمّن تولّى عن عن ذكرنا و لم يرد الا الحياة الدنيا * ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضلّ عن سبيله و هو اعلم بمن اهتدي (النجم/ 29 و 30) ، حيث يتحصّل منه: ان ذكر الله سبحانه هو السبيل اليه و التولّى عنه ضلال عن سبيله ، و ان ذكره سبحانه لا يحصل لال بالاعراض عن الحياة الدنيا ، و ان المعرض عن ذكره انما يبلغ علمه الحياة الدنيا لا يتجاوز الي غيره الحاصل بالذكر . فهناك شيء غير الحياة الدنيا و في طوله ربما بلغه العلم ، و ربما وقف دون الحياة الدنيا هذا

(و بعد نقل احاديث معتبرة في هذا الباب يقول:) و متفرقات الاخبار في هذه المعاني اكثر من ان تحصى . و قد عدوا جمعا من اصحاب النبي صلي الله عليه و آله و سلم و ائمة اهل البيت من اصحاب الاسرار ، كسلمان الفارسي ، و اويس القرني ، و جابر الجعفي

(و في الفصل الثاني بعد الاشارة الي البراهين العقلية و الفلسفية علي ان للانسان باطن غير هذا الظاهر كما ان للعوالم بواطن و اطوار ، و لها ارتباط خاص معاً ، و بعد الاشارة الي عوالم التجرد و اماكن اتصال الانسان اليها حسب استعداده و مجاهدته يقول):

اذا نظرنا نظر التدبير الي خصوصيات شريعة الاسلام بل جميع الملل الالهية ، وجدنا : ان المقصود الوحيد فيها هو صرف وجه الانسان الي ما وراء هذه النشأة الطبيعية ، و هذه سبيلها تدعوا الي الله علي بصيرة ، فهي في جميع جهاتها تروم الي هذا المرام ، و تطوف على هذا المطاف باي طريق امكن .

ثم ان الناس من حيث درجات الانقطاع الي الله سبحانه و الاعراض عن هذه النشأة المادية علي ثلاث طبقات ... (و بعد اشارته - قدس سره - الي حالات الطبقات الثلاثة و مراتبهم في المعرفة و الكمال ، يقول في ضمن الفصل الثالث :) ... فقد بان ان من الممكن ان يقف الانسان - و هو في هذه النشأة - علي الحقائق المستورة الخفية التي تستقبله فيما بعد الموت الطبيعي في الجملة ... انتهى ما اردنا من كلامه . فهذا العالم الرباني يثبت في رسالته القيمة الوجيزة حقيقة العرفان الصحيح في الشريعة الاسلامية و اماكن الوصول اليها ، و يثبت اماكن معرفة النفس و معرفة الرب تعالى و الوصول الي العبودية الكاملة المستلزمة للولاية الالهية التي هي اعلي مراتب الكمال الانساني ؛ فالاولى الرجوع اليها و التأمل فيها .

اي اقسام العلم من سنخ معرفة النفس:

نص السؤال: كثيرا سمعت التعبير بمعرفة النفس .. هل المراد من المعرفة هي التفكير في خلقه الانسان من اعضائه وجوارحه ام غير ذلك ؟ .. و هل للمعرفة اقسام و .. ما ارتباطها بعلم النفس الحقيقي ؟

نص الجواب: العلم حضوري وحصولي :

نرى بأن أفضل وسيلة لتعريفهما هو بيان الفروق بينهما. وقد ذكروا فروقاً ثلاثة :

الفرق الأول :

-العلم الحصولي هو حضور صورة المعلوم لدى العالم .

-العلم الحضوري هو حضور نفس المعلوم لدى العالم .

توضيح:

العلم الحصولي عبارة عن انعكاس صورة المعلوم في الذهن، فالحاضر لدى الإنسان ليس إلا الصورة الذهنية المجردة عن المادة الخارجية والحقيقة العينية والوجود الخارجي، وعليه سوف تتحد تلك الصورة مع الذهن أو العقل -ما شئت فعير- فهناك أمور ثلاثة اتحدت و صارت شيئاً واحداً وهي :

العقل: وهو الإنسان نفسه (وهو روح لا جسد)

والمعقول: وهو الصورة الذهنية (التي لا مادة لها)

والعقل: وهو الذي أدرك تلك الصورة .

فالصورة عندما يعلمها الإنسان سوف تتجرد وتجردُها تنسجم مع الروح أو العقل، فمن خلال الصورة المعلوم لدى الذهن، يتعرف الإنسان على الواقع العيني الخارجي .

وفي الحقيقة فإن وزان ارتسام الصورة في ذهن الإنسان هو وزان انعكاس الصورة في المرأة، غير أن هناك فرقاً كبيراً بينهما وهو أن الارتباط الموجود بين الصورة والمرأة ليس ارتباطاً علمياً، أي أن المرأة لا تعلم أن الصورة ارتسمت فيها. وأما بالنسبة للإنسان فالأمر مختلف، فعندما تنعكس الصور في ذهنه سوف يعلم بتلك الصورة بالعلم الحضوري تبعاً لمعرفة نفسه (لأنها انسجمت مع النفس) ثم ومن خلال تلك الصورة الذهنية، يعلم بمصادقها العيني الموجود في الخارج، أي أنه يعلم بأن الذي حضر في نفسه هو نفس ذلك الموجود الخارجي بعينه، وهذا هو حقيقة العلم الحصولي(وسر ذلك هو أن الأشياء الخارجية توجد في ذهن الإنسان بوجود آخر يسمى الوجود الذهني مقابل الوجود العيني .

الفرق الثاني :

-المعلوم بالعلم الحصولي، وجوده العلمي غير وجوده العيني .

-والمعلوم بالعلم الحضوري، وجوده العلمي عين وجوده العيني .

توضيح :

قلنا إن الصورة تتواجد في الذهن في العلم الحصولي فيكون لها وجود علمي وهو الوجود الذهني. وهناك وجود آخر في الخارج يُسمى الوجود العيني. فالوجودان اختلفا لا بالحقيقة فلا تباين بينهما ولا انفصال، لأن الوجود (العيني والذهني) أمرٌ واحد بسيط، بل الفرق بينهما إنما هو في الشدة والضعف والسعة والضيق فحسب . وأما العلم الحضوري، فإن وجوده العلمي هو عين وجوده العيني، كعلم النفس بذاتها وصفاتها وحالاتها الحسنة والقيحة. فعندما يعلم الإنسان بحزنه وسروره وإخلاصه واطمئنانه وحسده وحقده، فإن هذا العلم لم يصل إليه من خلال الصور الذهنية لتلك الصفات بل عرفها معرفة حضورية، فهي بحقيقتها ووجودها العيني حاضرة لديه. وهكذا علمه بنفسه فهو يعرف نفسه لا من خلال انعكاس صورة من نفسه في ذهنه بل يعرفها معرفة حضورية. وفي الحقيقة هذه المعرفة -أعني معرفة النفس- هي المنشأ الرئيسي لجميع العلوم الحضورية، فمن عرف نفسه فقد عرف حالاتها وصفاتها جميعاً بنفس العلم، غاية ما هناك أنه ربما لا يركّز فيها أو يتجاهلها وهذا أمر آخر .

الفرق الثالث :

-العلم الحصولي ينقسم إلى التصور والتصديق .

-أما العلم الحضوري فلا ينقسم إلى التصور والتصديق. ذلك لأن موطنه النفس بما هي هي لا الذهن الذي هو موطن الإدراك، وحيث لا إدراك فلا تصور ولا تصديق. وسيأتي أن التصور والتصديق قسمان للإدراك الذهني .

تعريف العلم الحصولي :

على ضوء ما ذكرنا في المقدمة، نستنتج أمرين :

- ١- إن العلم الحصولي يعني "انطباع صورة الشيء في الذهن . "أو بتعبير أدق: "حضور صورة الشيء في الذهن . "
- ٢- إن العلم الحصولي لا يحصل إلا من خلال علم حضوري وهو العلم بالصورة الحاضرة لدى الإنسان التي تشكل حالة من حالات النفس مندمجة معها، وهذه الصورة الذهنية هي صورة المعلوم، وعليه فلو لا إدراك الإنسان نفسه

وحالاتها لما تمكّن من إدراك أي شيء آخر خارج عنها، فيما أنّ الإنسان يعرف نفسه ويعرف الصور التي تنعكس في نفسه -كلّ ذلك بالعلم الحضورى- يتمكّن من معرفة الحقائق العينية والأشياء الخارجية .
ومن هنا نقول :

إنّ معرفة النفس هي أهم المعارف، إذ بها تعرف الأشياء الأخرى، وكلّما توسّع الإنسان في معرفته لنفسه وتعمّق فيها، اتسع علمه بما حوله وتمكّن من درك الحقائق كما هي، ومن لم يعرف نفسه حق المعرفة فسوف يعيش أوهاماً يظنّها حقائق، فيقيّمها تقييماً أعلى من مستواها .

ولا يمكن للإنسان أن يصل إلى حقيقة نفسه إلا بمعرفته الله سبحانه، فإنّ النفس نفحة من نفحات الرحمان فمن لم يحظ بمعرفة الشمس كيف يدرك شعاعه؟ {نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ...} (الحشر/١٩).

العرفان الصحيح من حقائق الدين:

نص السؤال: هل فى مدارك الاسلام شىء يؤيد طريق العرفان ، ام انه جاء من خارج الدين ؟
نص الجواب: يمكن ان نقول: ان الدين الالهي من دون طريق العرفان والمعرفة لا يكون ديناً ولا روح له . وان فى المعارف الاسلامية ومن طريق اهل البيت عليهم السلام ادق واعمق الحقائق العرفانية لتكميل النفس وايصاله الي كماله المطلق ...

إن القرآن الكريم لا يقيس الخالق والخلقة بالباني والبناء، ان القرآن يؤكد أن الله هو خالق العالم ويصفه بأنه في كل شيء، ومع كل شيء: (اينما تولوا فثم وجه الله) و(نحن أقرب إليه منكم) (هو الأول والآخر والظاهر والباطن .) وبديهي أن أمثال هذه الآيات دعت الأفكار إلى توحيد أسمى وأعلى من توحيد العوام، وقد جاء في حديث الكافي: "أن الله علم أنه يأتي في آخر الزمان متعمقون فانزل الآيات الأولى من سورة الحديد وقل هو الله أحد ."
ويكفي في السير والسلوك طي المراحل للتقرب إلى الله حتى آخر منزل أن نلقي نظرة على بعض الآيات في "لقاء الله" و"رضوان الله" والوحي والالهام ومكالمة الملائكة، ولا سيما مع غير الأنبياء كمریم عليها السلام، وآيات معراج الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، وقد جاء في القرآن الحديث عن "النفس الأمارة" و"النفس اللوامة" و"النفس المطمئنة" وعن "العلم الافاضى" و"العلم اللدني" وعن الهداية نتيجة "المجاهدة" و"الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا" وعن "تزكية النفس" بعنوان أنها طريق الفلاح الوحيد: (قد أفلح من زكاهها وقد خاب من دساها) وعن "الحب الإلهي" وانه فوق كل حب .

وعن تسبيح وتحميد جميع ذرات العالم. بعبارة يفهم منها: انكم أيها الناس ان أكملتم "تفقهكم" أدركتم ذلك التسبيح والتحميد، وفي القرآن جاء الكلام في طينة الإنسان عن "النفخة الالهية ."
وتكفي هذه المفاهيم والآيات وغيرها، لأن تكون ملهمة لمعنوية عظيمة وواسعة بشأن الله والعالم والإنسان، ولا سيما بشأن علاقة الإنسان بربه .

وليس الكلام في كيفية استفادة المسلمين من هذه المواد بصورة صحيحة أو غير صحيحة، بل الكلام في النظريات المغرصة لجماعة من الغربيين والمغتربيين، الذين يحاولون تفريغ الإسلام من معنويته. الكلام عن رأسمال عظيم في صميم الإسلام كان بإمكانه أن يكون ملهماً عظيماً في عالم الإسلام، على فرض ان يكون العرفاء اخفقوا في الافادة الصحيحة من هذا الرأسمال العظيم، فقد أفاد منه آخرون غير معروفين بعنوان العرفاء .

أضف إلى ذلك أن الروايات والخطب والأدعية والاحتجاجات الإسلامية وتراجم أكابر المتربين بتربية الإسلام، تثبت لنا أن الذي كان في صدر الإسلام لم يكن زهداً جامداً وعبادة على أمل الأجر والثواب، أن في الروايات والخطب والأدعية والاحتجاجات معاني عظيمة، وان تراجم شخصيات الصدر الأول تحكي عن سلسلة من الثورات الروحية والبصائر القلبية، وعن عشق واحترق معنوي عظيم .

ان حياة وحالات وكلمات ومناجاة الرسول الأكرم صلى الله عليه واله وسلم، مليئه من الثورات المعنوية الالهية والاشارات العرفانية، وقد استشهد العرفاء كثيراً بأدعية الرسول الأكرم صلى الله عليه واله سلم .
وكلمات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ملهمة للمعرفة المعنوية ...

وان الأدعية الإسلامية، ولا سيما الأدعية الشيعية كنز من المعارف، كدعاء كميل ودعاء أبي حمزة الثمالي والمناجاة الشعبانية وأدعية الصحيفة السجادية .

فهل لنا مع جميع هذه المنابع أن نفتش عن أي منبع من خارج عالم الإسلام؟.